الانتقاد

(للشاب الاديب نجيب افندي حيفة مدرّس البيان في كليتنا)

الانتقاد باب ولجهُ كثيرون فذهبوا فيه مذاهب شتّى . منهم مَن افرطوا في ذمّ الاعمال واستهجان الفوائد حتى نفرت عن اقوالهم القلوب . ومنهم من تعرّضوا للشخصيّات وسبُّوا فافحشوا . ومنهم . . ومنهم . . وفريق مدحوا (والمدح داخل في حكم الانتقاد) وتجاوزوا الحدود حتّى أيرموا القرّاء فعاد كلامهم عليهم وعلى ممدوحهم ذمًّا وشتيمة . تناهوا وما دروا ان التناهي غلط . وان خير الامور الوسط . والحقّ يقال انّهُ لم تخلُ بلادنا ممّن انتقدوا واعتدلوا فاجادوا وجنى الناس مما كتبوا لذّة وفائدة . لكنّ امثالهم قليلون فضلًا عن انهم ما بدأوا حتى انتهوا . كالبرق اومض واحتجب . نشروا بعض مقالات ثمّ امسكوا . كانهم شفوا غليلًا فاكتفوا او بلغوا مراماً فارتخوا او حالت دون غايتهم موانع فتوقّفوا

ولمّا رايت سوق المدح راجت ايّ رواج حدّثتني النفس في الانتقاد المفيد غير المبتذل . فلم انكف من ولوج بابهِ على ضيقهِ وسلوك سبيلهِ على وعورتهِ . وقد آليت على نفسي التعريض بالصفات دون الذوات والطعن في الفوائد الذميمة لا اخصّ من اصحابها زيدًا ام عمرًا . جامعاً بين الجدّ والهزل موردًا الامثال كما اقتضى المقام ذاكرًا على قدر المستطاع « ما ينقصنا » . وارلّ من اتعرّض لهم ارباب الاقلام لانهم مِلاح العالَم في الآداب والعلوم

تلك خطوات افكار ابتها كلّما سنحت وسمح الوقت بل هي سهام ارشقها رِباعاً عن كبد القوس في كل وجهة . فمن طاش عنهُ السهم طابت نفسهُ ووجد وسيلةً للتفكّه والمزاح . ومن أُهدفوا لهُ فليصبروا على مُضَض البلوى من غير شكوى او فليكفّروا في سرّهم عمّا جرى وليعتبروا . وربما كنت انا منهم وعاد كيدي في نحري فلومي على نفسي . انها كانت امّارة بالسوء

ما ينقصنا

١ تشبيل السراج

ما اكثر المطابع في عصرنا زادنا المنّان منها ورفق اصحابها لخدمة الحقّ والفضيلة .

بل قل ما اكثر الكتّاب. اعزّ الله المجيدين منهم. فانهُ والحمد لله تفتخر بلادنا بكرام نفضوا عن اللغة غبار الايام وشيّدوا فيها العلم بيتاً عالي المنار. فريقٌ تحلّى باقوالهم نحر الجرائد واشرق بانوار معارفهم وجه المجلّات. وفريق اودعوا الكتب كنوزاً لا يعادلها ثمن. فعادت مساعيهم خيراً على ابناء جنسهم. بيد انهم تزرّ يسير أيديهم الله وكلّل بالنجاح اعمالهم وحفظنا من شرّ سواهم

وما ادراك مَن سواهم. هم قومٌ تزلوا بشرف الكتابة الى حضيض الهوان. وبذلوا ماء وجه العربية وهو أولى بان يصان. شوّهوا صفحات الجرائد وافسدوا بطون الكتب. قالوا فما افادوا وكتبوا فلم يُفهَم لهم معنًى وجمجموا فلم يُرَ لهم طحن. ولم يعرفوا ايّ خطّة ينهجون فباتوا في دياجي الظلام يتسكعون. وان فُتح لهم الطريق لم يدروا كيف يسلكون. قد ركبوا في غير صهوتهم وخاضوا مضماراً ليسوا من رجاله طمعاً في احراز قصب السبق ساء ما يتوهّمون. فجنوا على انفسهم واهدفوا للنبال غيرَ مدّرعين وجنّدا خمول الذكر في تلك الحال وجنّدا الخفاء وراء الحجاب. وجنوا على الكتّاب المجيدين فكانوا كالسحاب الخلّب منعوا المستضيئين عن انوار ذوي العلم الصحيح وضنّوا عليهم بقطرة تروي الغليل. وجنَوا على القرّاء فاستزفوا اموالهم واوقاتهم وراحتهم وعرّضوهم منها سأمة ونفوراً حتى قالوا: افّ للعربية ما ارقّ عباراتها واقلّ فائدتها وتفّ لرجالها ما ابعدهم عن الصواب...

وهكذا امثال هؤلاء المتطفلين عرّضوا اللغة الشريفة للصّغار وسامروا اهل الفضل هوانًا. والعربيةُ واربابها منهم بَراء

وقائل يقول: كيف تتبرّأ منهم العربية وهم جماعة درسوا اللغة فاحرزوا منها نصيباً وافرًا ووقفوا على مكنوناتها فلا تخفاهم منها خافية ولهم في كل فنّ علمٌ وخبرة. وليس منهم الّا من لهُ اليد الطولى في نظم القصائد... فما ينقصهم ؟

على رسلك ايها المعترض واسمع على سبيل التفكه حكاية لصاحب الامثال فلوريان

القرد والفانوس السحريّ (١)

كان لرجلٍ يتعيّش من الفانوس السحريّ قرد قبيح وكان هذا لا تفوتهُ فرصةٌ

(١) لا يخفى ان الفانوس السحري آلةٌ لها ثلاثة اركان: زجاجات عليها رسوم وصوَر. وعدسية مكبّرة. وسراج يضيء. وهو الاهمّ. فيأخذ الرجل الزجاجات ويُمرّها تباعاً بين العدسية

للاحتذاء بصاحبه في حركاته وسكناته . فدعا الحيوانات ذات يوم ووعدهم بمشهد جديد بهيج فكان يصيح : هيّا سادتي . الدخول مجاناً . كلّ ذلك ابذله في سبيل الشرف (والجميع يتمانون في سبيل الشرف !!!) . فتقاطر المدعوّون افواجاً . ولمّا استقرّ بهم الجلوس وأُغلقت النوافذ اخذ يلقي خطاباً كان قد اعدّه لتلك السهرة واسهب في الكلام حتى تثاءب كلّ الحضور ومع ذلك قابلوه بتصدية الايدي ايذاناً بالاستحسان (وكم من خطيب مثله وكم مثلهم مستحسنين) . فسرّ القرد بما نالهُ من الفوز ثمّ اخذ يعرض الصوَر واحدة فواحدة ويشفع الحركة بشروح وافية : انظروا سادتي الى الشمس واشعّتها الساطعة . . . هاك القمر يشقّ جلباب الدجى . . . هذا مشهد الخليقة البديع . . . هنا ابو البشر آدم وهناك حوّاء . . . انظروا الى الحيوانات واقرأوا تاريخهم المسطّر . . . انظروا . . . انظروا

هذا والحاضرون في ظلام دامس . يحملقون ولا يبصرون . فقال الهرّ : ليت شعري يسرد لنا عجائب لكنني لا اجد لها اثرًا . وكذلك قال غيره همساً . وبعضهم هتف : لا يفوتني من هذه المشاهد واحد . لكني لست ادري ما بي فلا اميّز شيئاً (حفظهُ الله وامثاله)

كلّ ذلك والخطيب يصف ويشرح لا يعتريه ملل ولا فتور . وما فاتهُ الّا « تشعيل السراج » . . .

انّ مَن ذكرتُهم من الكتّاب يتشبهون بالكرام ولكن لا يفلحون . توفّرت لديهم المدّات ولكن فاتهم الأهمّ . فاتهم النور . واي نور ؟ العقل ؟ الذكاء ؟ كلّا ثمّ كلّا فالسوديّ امتاز دون سواه بالذكاء والنباهة وسعة العقل . فما ينقصهم اذن ؟ حقّ المعرفة والعلم الوافي بما فيه يبحثون . فلا يغنيهم توفّر المواد وعيشاً تتوارد عليهم الافكار والصوَر وتنصاع لهم التعابير الأنيقة . فان لم يكن المرء على بيّنة واضحة من الغاية التي يتوخّاها وقد جلّت لهُ كلّ الجلاء ابوابها وطرُقها اصبح يخبط خبط عشواء . فلا هو يهتدي ولا النـاس تدرك لهُ خبرًا او تفهم لهُ معنًى . يُجهد القُرّاء انفُسَهم فلا يجدون سوى عبارات لا طائل تحتهـا ولا يلوح من خلالها الّا ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض . فويحًا لحالة هذا الكاتب المسكين . ضلّ سعيُهُ ولم يجدِ وصفهُ وشرحهُ نفعاً لانهُ فاتهُ « تشعيل السراج »

(ستأتي البقية)

والسراج فيدو شكلها كبيرًا على ستار من النسيج المبلول . فيبهج بمنظره العين